**باب السماء بداخلك**

رأت امرأة أطفالا بملابس بيضاء تكسوا ملامحهم علامات البهجة والفرح وهم يلعبون في مكان فسيح أخضر وجميل، بينما رأت ابنها الذي المتوفى منذ سنوات حزينا كئيبا بعيدا عنهم، يرتدي ملابس رثة و وجهه ملطخا بدمامل تشوه منظره، وتبدو عليه علامات الحزن ولما حاولت الأم أن تقترب منه لتسأله عن حاله أعرض عنها، وناء بنفسه بعيدا. كان هذا الحلم يتكرر لديها بين وقت وآخر فيحرمها النوم ليلا، وعاشت كئيبة حزينة ومضطربة نفسيا لأكثر من عشرين عاما، فكانت تذهب إلى الرقاة والشوافين دون جدوى، وعندما جلست مع معالج نفسي مكنها من العودة بخط الزمن إلى ماضيها، فاكتشف معها أنها أكلت أموال إيتام ظلما. ماتت أختها وتركت صغارا كانت هي الوصية عليهم بعد زواجها من أبيهم، ولم تعطهم حقهم من الرعاية والحنان، وتصرفت بأموالهم دون إذن، فكان أن أصيبت بتلك الاضطرابات التي جعلتها ترى ابنها الذي مات منذ سنوات يكشف لها بعض ما سيلحق بها من أذى بإعراضه عنها و ذهابه بعيدا عنها. وهنالك أرشدها المعالج النفسي إلى التصالح مع ذاتها العليا واستعادة صحتها الروحية والأخلاقية. لم يكن أمامها في ذلك الوقت المتأخر من حياتها إلا أن تطلب السماح من أبناء أختها الذين صاروا كبارا. وفي اللحظة التي سامحوها استطاعت تلك المرأة أن تنعم بنوم حقيقي واستعادت سلامتها وصحتها، ورأت ابنها في مكان جميل بملابس نظيفة وهيئة حسنة و وجه يشيء نورا وهو يلعب مع أولئك الصبية في سرور وحبور. تعلمت تلك المرأة درسا روحيا وأخلاقيا، نقلته إلى المعالج النفسي في جلسة لاحقة وهي تشكره لأنه ساعدها في العثور على باب السماء بداخلها. يا له من شيء جميل بأن تؤمن بأن الحياة مستمرة بعد هذه الحياة العاجلة التي نفقد فيها الأحباب ويرحل عنا الأصدقاء ومن نحبهم، نراهم هكذا يرحلون الواحد تلو الآخر، نفاجأ بنعيهم أو خبر رحيلهم، يبكي الناس وينعون بعضهم حزنا على فراق من يحبون، لكن يغيب عن كثيرين منهم أن الرحيل هو إلى قادم أفضل. وعندما تعلم بأن حياتك مستمرة إلى ما وزراء جسدك المادي، وأن الحياة أبدية، وأن القادم عند الله أرحم، سيحقق لك إيمانك هذا إحساسا رائعا وشعورا بهيجا. الإيمان هو في الواقع شيء رائع إذا كان هذا هو الخيار الوحيد الذي لدى المرء، ومن الجميل أن تختبر الشعور بهذه الحياة الأخرى وأنت في عالمك الحسي المادي، فعندما تؤمن بالله سبحانه وتعالى وتقوم بطاعته وتتأمل بمعيته، وتستشعر وجوده بعلمه وإرادته ولطفه بك؛ فإنك بلا شك ستعيش لحظات من الابدية المفعمة بالطمأنينة والسكينة والشعور بالخلود، لأن إيمانك سوف ينقلك إلى هناك؛ حيث مملكة السماء، وحيث الذين سبقونا إلى هناك، وكفى بهذا الشعور علاجا لمشكلات التعلق بالدنيا والمادة والحاق الظلم بنفسك وبالآخرين من أجل حطام زائل.

د. أحمد بن علي المعشني

رئيس أكاديمية النجاح للتنمية البشرية